نقد التراث والآخر عند حسن حنفي

جُليـد قادة(*)

لا شك أن المتتبع للحركة الفكرية المعاصرة فى العالم العربى الإسلامى اليوم، يـدرك وهذا دونما عناء فى التفكير أو إصدار للحكم، أن المفكر العربى الكبير حسن حنفـي بمـشروعه الفلسفى والحضارى الضخم "التراث والتجديد" يعد من القلة القليلة بـين المفكرين العرب الدين يجمعون فى منهجيتهم فكرية والنقدية بين التفكير الفلسفى المحتـرف والدعوة العملية للتغيير الإجتماعى واستبدال الواقع المعاق بواقع طموح. فالفكـر النظـرى فـى فلسفته لا ينفصل عن الفكر العملى كما لا ينفصل التنوير عن التحريـر، ولا غـرو فى ذلك، فمشروعه الفكرى متعدد الجبهات والأهداف ويحمل الكثيـر مـن التحديات على شاكله "إما أن نكون أولا نكون" فهو يخوض لجة البحر العميق بكل ما أوتي من قوة وجهد من أجل أن تصل الأمة إلى شاطىء الأمان، وهو يكـتب لجمـيع المستويات ولكل الأطياف الفكرية والإجتماعية على إختلافها وتفاوت درجـة وعـيها، وهـذا هـو شأن المفكر الملتزم والمسئول الذي يعيش وسط الناس وضـجيجهم متحسسًا فى ألم عقل الأمة العاطل وأطرافها المقيدة بثقل الواقع متحمسا فى أمل لإعادة البعث والبناء، بعث حوار نقدى ومعقول بين الماضي والحاضر وبناء إنـسان عربـى جديـد يستجيب للمرحلة التاريخية الجديدة وهذا هو جوهر مشروعه الفلسفى الكبير: "التراث والتجديد" الذى يتحدد بثلاثة عناصر أساسية:

١-موقف من التراث القديم (الأنا)

(*). معهد العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، الجزائر.

٢-موقف من التراث الغربي (الآخر)

٣ نظريةالتفسير(بناء العلاقة بين الأنا والآخر)

إن التـــراث والـــتجديد إذن هو صلب المشروع الفلسفى والحضارى عند حسن حنفي وهو مشروع ذو جبهتين: الجبهة الداخلية والجبهة الخارجية، جبهة الأنا وجبهة الآخر، مشروع يسعى إلى ترميم صورة الأنا كما ورثناها من حطام الماضي السحيق بكـــل ســـلبياته وإيجابـــياته وبناء صورة جديدة فى إطار نسبيته وتاريخيته وشروطه المنـــتجه لـــه. ومـــن ثم فى هذه الدراسة سوف نحاول أن نقترب من بعض الأسئلة الجوهـــرية التى يطرحها حسن حنفي فى مشروعه الفكرى والتى تعتبر أسئلة أساسية ومـــضيئة فـــى بناء نظرية التاريخ: التاريخ العربى وما يحمله من عوائق وإمكانيات والتاريخ الغربى وما يحمله من إنجازات وقيود.

إن الإشـــكالية النظـــرية والإجتماعـــية والحضارية للتراث والتجديد عند حسن حنفـــي ليـــست إشـــكالية طارئه فى الفكر العربى المعاصر، بل هى إشكالية عضوية وصـــميمة فـــى هذا الفكر منذ عصر النهضة وإلى اليوم هذه الإشكالية التى تتمحور أساســـا حـــول أسئلة النهضة والتقدم والبناء، محاولة اللحاق بالركب الحضارى، ومن هذا المنطق، فإن "التراث والتجديد هو الوريث لحركات الإصلاح الدينى الحديثه التى بدأت منذ أكثر من قرن من الزمان وهى العملية التى تصب فيها كل محاولات التغيير الجذرى للقديم إما على المستوى الفكرى أو مستوى الواقع"[١].

وإذا كـــان يـــبدو واضحًا أن حسن حنفي قد إنخرط وانتظم تاريخيًا وفكريًا فى ســـياق إشكالية عصر النهضة وهى "كيف تأخر المسلمون وتقدم غيرهم" وكيف نغير

---

(١). د/ حسن حنفى: التراث والتجديد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، لبنان، ط٤، ١٩٩٢، صـــــ: ٥٧

الواقـــع العربـــي ونحقـــق الهدف العربي المتمثل فى التجسيد الفعلي للنهضة والتنمية والبـــناء الحـــضاري، فإن هذا لا يعنى أن حسن حنفي يقاسم كتاب النهضة والحداثة منهجـــياتها المطـــبقة في قراءة التراث، تراث الأنا وتراث الآخر، فالتراث عند حسن حنفـــي لـــيس إرثـــا ماديـــا يمكن إن نتخلى أو نتنازل عنه فى أى لحظة من لحظات الـــتاريخ، بل هو مسألة شخصية مرتبطة بوعينا وشعورنا فالذى يكتب عن تراثه إنما يكـــتب عـــن نفـــسه بـــشكل أو بآخر. والتراث لا يوجد وراءنا بل يوجد أمامنا لأننا معرضون إليه ولأنه قدرنا.

إن مـــسألة تجديـــد التراث عند حسن حنفي ليست مسألة نظرية مجردة أو ترفا فكـــريًا أو قضية ثقافية محايدة، بل هى عملية حضارية تجمع بين الوعى والمسئولية مـــن جهـــة، والإلتـــزام بقـــضايا الأمة والمجتمع والتاريخ من جهة أخرى، "من أجل المحافظـــة علـــى الإســـتمرار فى الثقافة الوطنية وتأصيل الحاضر ودفعه نحو التقدم والمـــشاركة فـــى قضايا التغيير الإجتماعى"[1]. وهذه العملية من شأنها أن تعمل على إعادة صياغة جديدة للذات العربية بعد تخليصها من حطام الماضي وأوهام الحاضر، ذات عربية واعية بوجودها وبرسالتها فى التاريخ، وهذه العملية فى نظر حسن حنفي لا تـــتحقق إلا بمباحثة نقدية وتجديد وصياغة فلسفية وتاريخية لمجموعة من العناصر الأساسية.

١- تغيير المحتوى النفسى للإنسان.

يعتبـــر عنصرالإنـــسان عـــند حسن حنفي جوهر العملية النهضوية والتنموية فى كل مجـــتمع وفـــى كـــل حضارة وهو الرأسمال الحقيقى فى كل بناء إجتماعى وتاريخى

(١).نفسه، ص: ١٣

"فالتـــصنيع والإصلاح الزراعى قد يتحطمان لأن الإنسان -وهو العامل والفلاح- لم تـــتم إعـــادة بنائه ووضعه فى العالم وظل متخلفًا عن مظاهر التقدم فالثورة الصناعية والـــزراعية فى البلاد النامية لا تتم إلا بعد القيام بثورة إنسانية سابقة عليها وشرط لها "[1]. ونظرًا لأهمية العامل البشرى فإن حسن حنفي يدعو إلى بناء الإنسان العربى من الـــداخل قـــبل تحمـــيله مسئولية البناء الحضارى، فالتاريخ مثلًا يسجل لنا الكثير من الـــتجارب التنموية التى فشلت فى العالم العربى وأخرى لم تحقق أهدافها كاملة لأنها غيبت دور الإنسان وقوته الخلاقة فى تصور مشروعها التنموى، فالإنسان واقع نفسى وأخلاقى قبل أن يكون واقعا فيزيائيًا وهو غاية البناء وليس وسيلة له فقط.

وإنطلاقًـــا مـــن هـــذا المبدأ يرى حنفي أن غياب موضوع الإنسان فى فكرنا الإقتصادى والإجتماعى المعاصر أو تحجيم دوره فى إستراتيجية التنمية والبناء يرجع أساسًـــا إلـــى غـــياب البحث فى الإنسان كبعد مستقل فى تراثنا القديم، وبالتالى إمتداد الماضي فى الحاضر يقول حنفي: " إذا كنا نبنى ونعمر ثم ينهدم البناء ويخرب العمار فـــإن ذلك يعود إلى غياب الإنسان كبعد مستقل فى تراثنا القديم وحصاره فى الإلهيات والطبيعـــيات فـــى علـــوم الحكمة وإبتلاعه فى علم التوحيد وفنائه فى علوم التصوف ومحقه فى علوم التشريع"[2].

وبـــناء على هذه المعطيات التى تربط بين حقائق الحاضر والماضي فإن حنفي يـــرى أن الماضـــي والحاضر لا يزالان يشكلان وحدة عضوية فى شعورنا ووجداننا الـــيوم، وأن الكثيـــر مـــن سلوكياتنا وممارستنا قد نجد لها أسبابًا وذرائع تبررها من الماضـــي، وكنتـــيجة منطقية ومعرفية لعلاقة الحاضر بالماضي فى وعينا المعاصر

---

(١). نفسه، ص: ١٣

(٢). نفسه، ص:١٧

يغـدو: "تحلـيل التـراث هـو فى نفس الوقت تحليل لعقليتنا المعاصرة وبيان أسباب معوقاتها. وتحليل عقليتنا المعاصرة هو فى نفس الوقت تحليل للتراث لما كان التراث القـديم مكـونا أساسيًا فى عقليتنا المعاصرة. ومن ثم يسهل علينا رؤية الحاضر فى الماضي ورؤية الماضي فى الحاضر فالتراث والتجديد يؤسسان معًا علمًا جديدًا وهو وصف للحاضر وكأنه ماضى يتحرك ووصف للماضى على أنه حاضر معاش"(١).

إن هـذه الوضـعية المـزدوجة التـى يعيشها الإنسان العربى اليوم فى وعيه وسلوكه من خلال هذا الوعى الزائف بالزمن وبلحظات التاريخ هى التى تجعله اليوم عـديم الفعالـية والإبداع والإبتكار؛ وبالتالى كان من الضرورى والأولى أن نبدأ فى تغييـر المحـتوى النفسى للإنسان، تغيير الأفكار الميتة والقاتلة إستبدالها بأفكار حية وبناءة، فالواقع واقع نفسى بالدرجة الأولى وعندما نغير ما بأنفسنا سيتغير ما حولنا.

وإنطلاقًـا من هذه الرؤية فإن حنفي يخلص إلى نتيجة جوهرية وهى أن الواقع فـى أساسـه " أبنية وسلوك ومواقف وإتجاهات، بل إن الإتجاه النفسى هو الواقع كله والواقـع المـصمت لا يـتحول إلـى واقـع إجتماعى إلا من خلال سلوك الجماهير وإتجاهاتهـا ومواقفها، الواقع الحى أبنية نفسية وعقبات إجتماعية وتصورات للعالم"(٢).

ومن أجل تجاوز هذه المشكلة الحضارية فإن حسن حنفي يقدم للإنسان العربى القاعـدة النظـرية فى مشروع "التراث والتجديد" لحل عقده النفسية والفكرية ومشاكله الحضارية حتى يصبح عنصرًا فعالا لا منفعلًا، محركًا لا تابعًا متطلعًا إلى مستقبل لا إلى الماضي، ومن هنا تصبح " قضية التراث والتجديد هى الكفيلة بإعادة بناء الإنسان

---

(١). نفسه، ص: ١٩

(٢). نفسه، ص: ٥٣

فـي الـبلاد النامية عن طريق إكتشافه لبعده التاريخى وإعطائه أسسًا نظرية للتعبير وتفجير طاقاته المخزونة وخلق ثقافته الوطنية وتحريك الجماهير السلبية وإنزالها بكل ثقل إلى ميدان التطور والتنمية "[1].

وإذا كان لكل علم مهمة أو غاية شريفة يقصد إليها فإن مهمة التراث والتجديد هـي "تفجير طاقة الإنسان الختزنة المحاصرة بين القديم والجديد كحصار الإنسان فى اللاهوت المسيحى بين أدم والمسيح، بين الخطيئة والفداء"[2].

إن تفجيـر الطاقـة الذاتية المعطلة للإنسان العربى اليوم وتغييرمحتواه النفسى وتـصحيح أفكـاره ومبادئه هى الرهان الوحيد الذى يوجد أمامنا اليوم والذى يجعلنا ننتقل من الزمن المتخشب إلى الزمن الحي، من الزمن الهائم إلى الزمن العلم، وأخيرًا وليس آخرا من اللاتاريخ إلى التاريخ.

٣- أسبقية الواقع على الفكر:

إن حـسن حنفي عندما يتناول إشكالية العلاقة بين الواقع والفكر فى مشروعه الحـضارى لا يتـناولها فـى إطـار الإشـكالية الفلسفية التقليدية التى تكسرت على صخورها رؤوس الفلاسفة، وهى أيهما أسبق: الفكر أم الواقع ؟؟

إن حنفـي يـتجاوز هـذا الطرح المجرد الذى يقسم تاريخ الفلسفة إلى تيارين متعارضـين "الماديـة والمثالـية" منذ أفلاطون وإلى اليوم. إذن فما فهى نظرة حنفي لطبيعة العلاقة بين الفكر والواقع وفى مشروعه تحديدًا ؟؟

إن حنفـي فـى إجابـته علـى هذا السؤال ينطلق من روح الحضارة العربية الإسـلامية التـى هى حضارة مؤسسة على النص حيث يرى أن القرآن الكريم وهو

---

(١). نفسه، ص: ٤٩

(٢). نفسه، ص: ٥٢

نص مقدس إنما جاء ليجيب على تساؤلات الواقع ومشاكله، فلم يكن نصًا مثاليًا مجردًا من إهتمامات الحاضر، بل نصًا حيًا يحمل فى ذاته ملامح الواقع وسنن المجتمع والتاريخ، فالقرآن الكريم نزل لأسباب موضوعية وهذه الأسباب تشير إلى واقع معين يقول حنفي: "وإن ما عبر عنه القدماء باسم أسباب النزول لهو فى الحقيقة أسبقية الواقع على الفكر ومناداته له، كما إن ما عبر عنه القدماء باسم الناسخ والمنسوخ ليدل على أن الفكر يتحدد طبقًا لقدرات الواقع وبناء على متطلباته، إن تراخي الواقع تراخي الفكر وإن إشتد الواقع إشتد الفكر، فالتراث إذن ليس له وجود مستقل عن واقع حى يتغير ويتبدل، يعبر عن روح العصر وتكوين الجيل ومرحلة التطور التاريخي"[1].

وإنطلاقًا من هذا التصور العام الذى يحدد العلاقة الجوهرية والعملية بين الواقع والفكر فإن حنفي يرفض الفلسفات المريحة وأشكالها الحالمة التى تنطلق من الفكر وتنهتى إليه، وكل الفلسفات التى لا تتخذ موقفًا نقديًا وعمليًا من الحاضر وكثيرًا ما تخطب وتعتقد أنها تفكر وتنفعل وتظن أنها تفعل وتزيف الواقع أو تنكره بدل أن تواجهه بكل حقائقه يقول حنفي: " وشتان ما بين الإحساس والواقع وفرق بين الإنفعال الذاتى والحقيقة الموضوعية، فالقيم السلبية تسلبنا المقاومة الفعلية ويقضى الحب على الصراع بين الأضداد ويهدم العقل تحت وطأة الإنفعال، يحول الواقع إلى مثال وهو مازال الواقع المضني"[1].

إن المهمة الأساسية فى نظر حنفي والتى تسبق كل تغيير إجتماعى تتمثل فى ضرورة تحليل الواقع تحليلًا موضوعيًا بما يسمح لنا بالقبض على العناصر التى

---

(١). نفسه، ص : ١٥

(١). نفسه، ص : ١٨

يتألف منها حتى نستطيع أن نميز فى هذا الواقع بين قيم التراث وقيم العصر حتى نستطيع أيضًا أن نختار المنهج الملائم لمواجهة محددات وتجليات هذا الواقع مواجهة نقدية وبناءة وبالتالى كان من الضرورى وإبتداء أن نعمل على "تحليل أبنية الواقع وإلى أى حد هى ناشئة من الواقع ذاته ودرجة تطوره أم أنها ناشئة من الأبنية النفسية للجماهير الناشئة بدورها من الموروث القديم"(٢).

وبعبارة أخرى فإن هذه العملية النقدية والمعرفية الجريئة فى الفكر العربى المعاصر تود " الإنتقال من علم إجتماع المعرفة إلى تحليل سلوك الجماهير، أى من العلوم الإنسانية إلى الثقافة الوطنية إلى الثورة الإجتماعية والسياسية "(٣).

وبناء على هذه القاعدة النظرية والثورية التى تؤسس لقيام علم جديد فى الفكر العربى المعاصر، فإن الفكرة عند حنفي تشير إلى الواقع والواقع يشير إلى الفكرة، فلا غربة ولا إغتراب ولا واقع بدون أسباب ومن ثمة كان التراث والتجديد عند حنفي هو "القادر على التنظير المباشر للواقع؛ لأنه يمد الواقع بنظريته التى تفسره والقادرة على تغييره فالتراث هو نظرية الواقع والتجديد هو إعادة فهم التراث حتى يمكن رؤية الواقع ومكوناته "(٤).

إن كان حنفي يعطى أهمية للواقع الحى فهذا لا يعنى أنه ينكر دور الفكر، بل يرى أن الفكر تعبير عن الواقع ومحرك له، أى أن الفكر لابد أن يتكيف مع متطلبات الواقع حتى يستطيع أن يكون فكرًا فاعلًا ومغيرًا يقول حنفي: "وسواء بدأنا من التراث لفهم الواقع أو التنظير المباشر للواقع، فكلا المنهجين النازل والصاعد يؤديان إلى

---

(٢). نفسه، ص : ٢٦

(٣). نفسه، ص :٢٦

(٤). نفسه، ص :٣٤

نفـس النتيجة. فلا الواقع يستنبط من الفكر ولا الفكر يأتى من الواقع المسطح الجزئى إن كـان يأتـى من الواقع العريض، وذلك راجع إلى واقعة الوحى الذى هو مصدر التراث وكيف أنه جاء تلبية لنداء الواقع وتكيف على أساسه "[1].

إن هـذه المقاربـة الـثورية للفكر وعلاقته بالواقع عند حنفي تشير إلى قضية شخـصية وتاريخـية محـددة وهى أن حنفي مفكر صاحب الفلسفة العملية لا الفلسفة النظـرية ومشروعه للتغيير لا للتبرير، يعيش التاريخ فى وجدانه لا فى خياله، يعيشه كتجربة وعمل لا كرغبة وأمل.

٣- تجديد علوم التراث:

يـرى حنفـي أن التراث يحمل فى ذاته الكثير من الإمكانيات والعناصر الإيجابية التـى تجعلنا نستفيد منه اليوم فى بناء نهضتنا المأمولة، ولكن يجب أن ننظر له بشكل جديـد ومنهج جديد يتلائم مع طبيعة المرحلة التاريخية، لأن العالم يشهد اليوم تطور فى المناهج والموضوعات، ولقد ترسخت فى العقلية المعاصرة النظرة العلمية الجديدة فى مقابل النظرة التقليدية القديمة، ولتحقيق هذا الهدف كان من الواجب أن نعمل على " نقـل البـناء النظـرى السابق بعد نقده وتمحيصه على أساس نظرى جديد لإعطائه أبعـاداً جديـدة سـواء من حيث اللغة التى يعبر بها ومن حيث الكشف عن مستويات جديدة للتحليل أو من حيث المادة التى يقدمها الواقع الجديد "[1].

إن القـضية إذن هى قضية فهم التراث وإعادة اكتشافه من جديد فى ضوء قيم الـبحث العلمـى والـروح العلمية حتى نخرج التراث من دائرة الإطلاقية إلى دائرة النـسبية ونـتحول من كائنات تراثية إلى كائنات لها تراث، لأننا فى البحث العلمى "

---

(١). نفسه، ص :٣٤

(١). نفسه، ص :١٤٩

لانتحدث عن نظريات ولا تصورات ولا مفاهيم مطلقة فكل نظرية وكل مفهوم يرتبط بسياق نشأته ويفترض أن أى تصور أو تغيير فى السياقات المذكورة يؤدى بالضرورة إلى لزوم إعادة النظر فى المقدمات والوسائل والنتائج "[٢].

ويرى حنفي فى هذا السياق أن هناك نظرتين أو نعرتين متعارضتين للتراث : النعرة العلمية والنعرة الخطابية وأن الفهم الحقيقى للتراث يكمن فى تجاوز تهافت هاتين النظرتين من حيث المنطلقات. فما طبيعة هذه النظرة ياترى والعلاقة التى تقيمها هاتين النعرتين مع التراث ؟

إن النعرة العلمية للتراث تعكس نظرة المستشرقين الذين يقرأون التراث مفصولًا عن الوحى أو يعتبرون الوحى جزء من التراث وينكرون البعد الإلهى لرسالة الإسلام ويخرجونه من دائرة الديانات السماوية باعتبار أن الوحى فى نظرهم تحريف وتلفيق لما جاء فى الديانة اليهودية والمسيحية وبالتالى " فالنعرة العلمية التى تقوم عليها مناهج المستشرقين تعنى دراسة الظاهرة الفكرية كظاهرة مادية خالصة وكتاريخ خالص مكون من شخصيات وأنظمة إجتماعية وحوادث تاريخية محضة يمكن فهمها بتحليلها إلى عوامل مختلفة سياسية واقتصادية واجتماعية تحدد نشاتها وطبيعتها "[١]. وإذا كان هذا هو جوهر النعرة العلمية فما هو جوهر النعرة الخطابية؟

يرى حنفي أن النعرة الخطابية رغم أنها تنطلق من منطلق صحيح "التسليم بحقيقة الوحى" إلا أنها تقع فى الكثير من التناقضات، وهذا بسبب اعتمادها لأسلوب العاطفة فى مقابل المنهج العقلى ولإفتقادها أيضًا للوعى التاريخى الذى يجعلها تتعامل مع الواقع تعاملا نقديًا ومتفاعلا ويجعلها تستفيد من تجارب التاريخ، يقول حنفي:

---

(٢). د/ كمال عبد اللطيف، الحداثة والتاريخ، أفريقيا الشرق، لبنان (ب.ط) ١٩٩٩، ص ٣٥

(١). حسن حنفى، المرجع السابق، ص : ٧١

"بالرغم من أن النزعة الخطابية تعطى الأولوية للوحى على التاريخ إلا أن الإتجاه إتجاه ساذج يعبر عن نوع من المراهقة الفكرية حيث تسود العاطفة والإنفعال"(٢).

وفى نظر حنفي يكمن الفهم الحقيقى للتراث فى التوفيق بين المنطلقات الصحيحة لكل نظرة منهما، وفى هذا الإطار يقول: "وإذا كان خطأ النعرة العلمية أنها تعرف كيف تقول دون أن تعرف ماذا تقول فإن خطأ النزعة الخطابية أنها تعرف ماذا تقول دون أن تعرف كيف تقول والتراث والتجديد لتفادى الخطأين معًا إذ يحاول أن يعرف ماذا يقول وهو التراث وكيف يقول وهو التجديد"(٣). وبالتالى يكون التراث والتجديد قد أجاب على الأسئلة المستعصية فى الفكر العربى المعاصر وهى كيف نقرأ ونفهم التراث؟ وكيف نستفيد منه فى الحاضر؟

٤- جدلية الأنا والآخر:

يرى حنفي أن الأنا يتحدد بالآخر وأن بناء صورة الآخر فى الذات هو جزء من بناء الذات نفسها، ولأن التاريخ فى جوهره عملية جدلية، تأثير وتأثر " فتحديد موقفنا من التراث الغربى جزء من حركة التاريخ وتطور الحضارة وإستمرار لما بدأناه فى العصر القديم كما أنه تحليل لواقعنا المعاصر الذى أصبح التراث العربى جزء من تكوينه الثقافى كما أنه واجب وطنى وقومى من أجل تأصيل موقفنا

(٢). نفسه، ص : ٩٦

(٣). نفسه، ص :١٠٥

الحضارى والقيام بالحركة التى لم نقم بها حتى الأن وهى معركتنا مع الثقافة الغربية الوافدة "[1].

وحتى تتم إعادة بناء الذات بناء نقديًا واعيا فى مقابل الآخر جاء حنفي بمفهوم "الإستغراب" الذى هو فى جوهره "الوجه الآخر والمقابل بل والنقيض من الإستشراق هو رؤية الأنا (الشرق) من خلال الآخر (الغرب) يهدف علم الإستغراب إذن إلى فك العقـدة التاريخـية المـزدوجة بين الأنا والآخر والجدل بين مركب النقص عند الأنا ومركب العظمة عند الآخر"[2].

لقـد سعى الإستشراق الغربى فى نظر حنفي إلى تشكيل صورة نمطية للشرقى فـى الوعى لغربى قائمة على التزييف والتحريف التشويه وهى صورة غير صحيحة فـى أساسـها فـى حـين أنه إحتفظ لنفسه بصورة إيجابية تعكس قيم التفوق والعلم والإنسانية والهيمنة العالمية.

ومـن هنا جاء علم الإستغراب ليقلب الصورة أى القيام بتشكيل صورة حقيقية للإنـسان الغربـى فـى الوعـى الشرقى من خلال دراسة الغرب فى إطار شروطه الاجتماعـية والتاريخـية بإعتبار انه نتاج ظروف ساهمت فى تشكيله وبنائه وإبرازه ومـن هـنا إدراك نـسبية الحـضارة الغـربية والتخلص من عقدة النقص والقابلية للإستعمار والإستعباد والتبعية.

وعـندما نقـوم ببـناء صـورة جديـدة للأنا والآخر فإننا بذلك نسمح بتقارب الحـضارات، الحـضارة الغربية والحضارة الإسلامية على الخصوص يقول حنفي:

---

(١). نفسه، ص :١٨٠

(٢). د/ حـسن حنفى، ماذا يعنى علم الإستغراب ؟ دار الهادى، لبنان، ط ١، ٢٠٠٠، ص: ٤٩

"فالصور الذهنية هى التى تحدد الرؤية وتوجه السلوك ومن كثرة تكرار هذه الصور النمطية تتحدد الوقائع ويدون التاريخ ويورث للأبناء عبر الأجيال وإن محاربة هذه الصور الكاريكاتورية للأنا فى ذهن الآخر وتطهير الآخر وعيه من هذه الصور لهو تحويل لهذا الإلتقاء الحضارى من السلب إلى الإيجاب ومن التقابل إلى التفاهم ومن العداء إلى الحوار"(١).

وكنتيجة لذلك تصبح أطروحة نهاية التاريخ وصراع الحضارات وكل الأطروحات الاستعمارية والإستكبارية المرتبطة بها غير ذات معنى عندما نقارنها بالأهداف الإنسانية والحضارية لعلم الإستغراب. ومن هنا يمكن أن نقول رغم إننا نعتبر حسن حنفي مفكرًا إسلاميًا يحمل هموم الأمة وهموم العالم الثالث فإن هذا لا يقلل من إنه مفكر إنسانى وعالمى يساهم بفكره المضيء فى إنقاذ الحضارة الإنسانية والمصير العالمى، ذلك هو الهدف الخفى واللامنطوق فى مشروعه: " **التراث والتجديد**".

(١). نفسه، ص : ١٥٢